ومطيبهم والمدافع عنهم لدى هجمات العدو اللسانية، ينفث كره على
قول بعض المستشرقين من هجام كبار الأعداء فيرديهم، ويغمر ببيانه
نقائص الأصدقاء فيرفعهم. وقد يجعل من المعايب محاسن كما فعل
الحطيئة في بني أنف الناقة. لم يفت ساسة العرب الانتفاع من هذه
الورود العجيب فكانوا يدفعون به بين القبائل الرهيبة أفكار الجمهور
لانقلاب ما أو لإعداد عقد صلح أو شهر حرب، أو نشر مكرمة فكان
كثير النفوذ، شديد التأثير حتى عده الأب لامنس بقول الصحافي
تلك الأيام غير أن صحافي تلك الأيام كان بعض صحافيي اليوم يا خجل
فلم يكن ليتزلف فيخدم رأيا لأميره أو مبدأ لأسيلمه، وإزاء
هذه الإخلاص في العقيدة والحرية في القول، كانت تظهر ما يحلى
مظاهرها السياسة صاحب البدعة الجديدة أو الرأي المستحدث
القاصد تغيير شيء في عقلية القوم. فإنه كان يجتهد قبل كل شيء
في استمالة الشاعر إلى رأيه لا بالمال أو الجاه بل بالعاطفة والرغبة
ولا سبيل غير ذلك إلى نيل مساعدة الشاعر. لهذا زهير مدح
هرم بن سنان لمحبته له! ولهذا عمرو بن كلثوم لم يتراجع